ألـهـذا عيـد الـزهـور اقمتـم ألـهـذا أُقيـم عيـد الـزهـور ؟
نحـن قبـلا عشنـا جميـعـا بـرغـدٍ واتفـاق لـم نـدر مـعنـى النفـور
عـاش حـاخـامهم وعـاشـت شيـوخ بسـلام كـذاك عـاش الخـوري
فلمـاذا هـذا النفـور ؟ ولـم لـم يتـأنّ في وعـده (بلفـوري)

فهو يحس بالتغيير الذي لف البلاد ، ولكنه يخشى أن يضع يده على موضع الالم ، فلا يقدر على التعمق في معرفة أسباب الأوجاع ، اذ يقصر حسه عن سبر اغوارها ، كأنه لا يزال يعتقد أن في الامكان أن تتراجع بريطانيا عن مخططاتها ، بمجرد مشاهدة بعض مظاهر الشرور وبقع الدماء تسيل على ارض الشارع ، فيقول مخاطبا أهل السلطة :

أيها السادة الألى يحكمونا وبـأيـديـهُـم زمـام الامـور
حسبنا ما نرى وما سنراه في فلسطين من ضروب الشرور

وبطبيعة الحال ، فنحن لا نرى أن هذا الشعر ، يرقى الى مستوى المقاومة ، سواء في مضمونه أم في بنائه وشكله الفني . ويكفينا أن نرى فيه تحركا من الشاعر ، في فترة نحس بتجمد الشعر وأصحابه خلالها ، فنستشف منه موقفا في هذه الفترة المبكرة من عهد الانتداب البريطاني التي هي أشبه ما تكون بفترة انتقال سياسي تتدرج معالمها في الاتضاح مع الأيام وتطور الأحداث . فالشاعر ، بالرغم من « تخوفه من الموت غما ان لم يبح بهذه النفثة » ، لا يجعلنا نحس بتجربة عميقة لديه في هذا الموقف ، وإنما كل ما يتبدى على السطح عواطف باردة واحساس عقلي متبلد حجر عليه صاحبه في اطار التفكير المجرد والمطلق في شرور الحرب العامة وويلاتها ، ثم في قفص الآمال التي لا تزال تراوده في دعوة الحلفاء الى الحرية وحقوق الغير ، دون أن يقف على خصوصية واحدة من خصوصيات الأحداث الدامية التي شهدتها يافاوقراهـا المسالمة ضمن الاراضي المقدسة ، وأثر مثل هذه الخصوصية في نفسه ووقعها في بيئته وعلى الناس من حوله ، بل على العكس فلربما بدا اهتمامه باحوال « سائرالمعمور » ومآسيها أقوى من اهتمامه بأحوال يافا ومأساة أهلها :

أفبعد الحرب الكبيرة حرب وقتال أيا رجال النور ؟
أو لم يكف ما مضى من حروب لم يثرها سوى سبيل الغرور ؟
أو لم تشرعوا السيوف دفاعا عن حقوق المظلوم والمغدور ؟
أو لم تسمعوا انين الثكالى أو لم تنظروا دموع الفقير ؟
فلم المذبحات في كل يوم عندنا بل بسـائـر المعمور ؟

ثم هو ، وبدلا من أن يكون داعية في بني قومه الى الاهتمام بظروفهم والاشتغال في سياسة بلدهم والتنبه لما يحاك لها من دسائس ومخططات استعمارية ، نراه يتبنى دعوة الاستعمار والرجعية والزعامة التقليدية بالتفرغ للأعمال المعيشية والابتعاد عن الاهتمام بالسياسة ، هذه الدعوة التي قد تصلح في مجتمع راق متحضر ، ترسخت فيه جذور الحرية والديمقراطية ، ونمت اشجار الثقة بين الحاكم والمحكوم ، فهو يقول نافضا يده من تبعات (مغامرته) في الحديث عن موضوعه :